بندر عبد الحميد

يزور حبيبته سرا ...

حين تصير الارض جراحا
لا تبكي ، وخذي بيديك الاغصان
فهذا الوطن الذابل تحت الاعلام
الوطن الصامت، هذا الجسد التاريخي
الاسطوري ، المتأرجح بين النوم
وبين الفتنة .. قام
اغترفي من ماء النهر .. وقولي
يمكن أن أبدأ هذي اللحظة عمرا
وكأن حياتي ما كانت خيطا مسحورا
بين الميلاد الاول والميلاد السادس
والعشرين الآن
.. امرأة .. انت فلا تبتدئي
العزف الآن
أخاف عليك من الالحان المذبوحة
والالحان .. المجنونة
والالحان .. الرقص الدامي
والالحان ..وانت امرأة خمر ، يتفجر
من اعماق الارض
وفي أوردة الجسد التاريخي ..
نداء الانسان
سيري تحت المطر الليلي، ووجهك عار
يا رائحة الارض بعيد المطر المسفوح
لم يعرف عدد القتلى ..
ترعاك غصون الاشجار المقصوفة
والاشجار المحروقة .. أشجار
التين البري
الزيتون ، الرمان .. وانت تمرين
وفي عينيك الصور المنسية
من مدّ يديه وأشعل نارا في هذا الليل
الليل طويل
ورصاص في الاحياء الشعبية
لم يتضح الموقف بعد
انتظروا وجه امرأة تبكي
أو طفلا محترقا بين جدار
وجدار
لم يعرف عدد القتلى ..
ـ من أنت ؟
ـ امرأة .. انتظر الآن حبيبي
كان يغني :
(هي امرأة وأنا النهر
كوني غزالا رماه الهوى

يا صحارى احمليه الى الماء
والذكريات الوسيمة
في موقد عربي
وهذي الجزيرة تهجر عشاقها
زمنا
مطرا
كنت منهمرا فوق أهدابها
عاشقا سيدا
يتخفى اذا الليل جنّ
ورفّ جناحاه ..
في أول الحرب متنا
وفي آخر الحرب صارت أصابعنا
شجرا
والرفاق القدامى يعودون من موتهم
دمهم جاهلي اذا رفرف الموت
بين الضفاف الحسان وبين الطلول
هو الموت
لا ترقصي فرحا ، كلنا عاشق
كل موت له في القواميس اسم
فلا تأمني ظهرك الطفل
واستمعي همسهم :
« نشرب اليوم من دمها
قطرة كالخزامى
ونرقص فوق عباءاتها
لحمها مطر .. ثروة .. انها
امرأة .. نحلة .. نائمة ..)

يجري نهر الاردن على أقدام حبيبي
منذ الالف الاولى للميلاد
حبيبي يزرع كل مساء أشجارا
من عسل الصفصاف
أمرّ بصمت ، أغرف من ماء الاردن
وأغسل وجه حبيبي
وحبيبي قمر يطلع
في أعياد الاطفال الفقراء
يصير حبيبي جنديا مجهولا
لا جنديا مفقودا
أسمع صوت حبيبي حزنا موشوما
وجه حبيبي يلمع خلف النهر مرايا
وحليبا شتويا ..

أقسم ان حبيبي قبّلني عند النهر
ووجه حبيبي سرّ ،
في الصحراء العربية ، جندي مجهول
يغسل نهر الاردن يديه
يغني ، يبحث عني
بين الدغل البكر
فاسمع صوت حبيبي :
(حلوة تسقطين يا زهرة
العوالم القديمة
يا قرية افردت وجهها قمرا
شاحبا
كلنا عاشق
وجهك الآن موعدنا
ويداك .. أموت على ساعديك
اهبطي جنتي لحظة
مرة تسقطين هنا
مرة .. تنهضين ..)

لم يتضح الموقف بعد
وهذا الخنجر خلف الباب
الخنجر ليس وساما
حبك نار ، اغنية سكرى انهمرت
فوق عيون الجبل الوحشي
وبين شفاه الانهار
انتظروا الاعياد الكبرى
الاعياد الدينية والاعياد الوطنية
كثرت في وطن الفقراء الاعياد
وهذا الليل طويل
أقسم بالحب الليلي وبالاعشاش
المهجورة
ان الاشجار ستبدأ رقصا
تفتح كل الابواب
تعانق أيدي الناس جذوع الاشجار
فيبكي الناس ، وتبكي أوراق الاشجار
وترقص .. في أعياد الاطفال الفقراء
لم يتضح الموقف بعد
ولكنّ الجندي المجهول
يزور حبيبته سرا
كل .. مساء !

دمشق